

مقدمة:

عمد الاحتلال الفرنسي منذ الأيام الأولى لاحتلال الجزائر، إلى محاولة طمس معالمها الحضارية والثقافية والدينية، عبر عدة تدابير مسخ بها أوائل الحكام العسكريين الواقع العربي الإسلامي فيها، فمنذ البداية تعمدت سلطات الاحتلال التعدي على مقومات الهوية الجزائرية العربية المسلمة بالتصدي لجميع مظاهر الحياة الدينية في الجزائر، وامتدت أياديها الآثمة إلى المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا وأوقاف بالتهب والمصادرة، تارة بدعوى مشاريع المنفعة والصالح العام، وتارة أخرى عقابا وتنكيلا بالجزائريين وبمشاعرهم.

إلا أنه من بين الممارسات الدينية للجزائريين، شكلت فريضة الحج، هاجسا وخوفا وارتباكا للإدارة الاستعمارية التي حارت في كيفية التعامل معها، حيث بعدما استطاعت المراقبة والإشراف على شؤون الحياة الدينية وممارستها الفردية والجماعية، إلا أن الحج بشكله العابر للحدود، الخارج عن سيطرتها وعيونها كان يخيفها، وبالتالي تتبعه بالمنع والتضييق، والمتتبع لتاريخية الحج طول فترة الاستعمار تهاله الكمية الهائلة للقوانين المنظمة لهذه الشريعة - التي سنتعرض لها خلال عرضنا لهذا الموضوع -، خاصة بعد سنة 1894م، وهو تاريخ صدور القانون المشهور في 10 ديسمبر 1894م من طرف الحاكم العام "جول كامبون" والذي يعتبر القانون الأساسي المنظم لفريضة الحج، ومن هنا ارتأينا البدء في التأريخ لتنظيم فريضة الحج إلى البقاع المقدسة زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر جاعلين من هذه الفترة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، لكن من المفترض أن نلّم بهذا الموضوع عبر التطرق إلى مجمل السياسة الإسلامية لفرنسا بالجزائر، أو بالأحرى سياسة فرنسا اتجاه الدين الإسلامي، إلى جانب التركيز على موضوع البحث، الخاص بالحج إلى بيت الله الحرام في ظرفية الاحتلال، بحكم انه يكتسي أهمية كبيرة، وذلك لإبراز جوانب أخرى تكشف المميزات والخصوصيات اللانمطية للاحتلال الفرنسي في الجزائر.

أما عن أسباب اختيارنا لموضوع رحلة الحج في الجزائر خلال (1894-1945م) فقد كان لأسباب ذاتية، فقد أثار فضولنا هذا الموضوع الذي يمثل شكل من أشكال المقاومة ضد المحتل وتدخله في الشؤون الدينية للجزائريين، فأردنا التأريخ لهذه الظاهرة، ولأسباب موضوعية تمثلت في توجيهنا لاختيار هذه الدراسة، وتتمحور الإشكالية الرئيسية فيما يلي:

1. كيف حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تأطير و تنظيم رحلة الحج خلال سنوات

(1894م-1945م)؟ وهل نجحت في ذلك؟

و تحت الإشكالية الرئيسية تندرج إشكاليات جزئية هي:

- كيف تعاملت الإدارة الاستعمارية مع أوقاف الحرمين الشريفين؟

- ماهي أبعاد وظروف تطبيق فصل الدين عن الدولة في الجزائر؟

- وهل نجحت فرنسا في تنظيم شؤون الحج؟

- هل كانت فريضة الحج تشكل خطراً فعلياً على مصالح فرنسا، من الجانب الصحي كما كانت تدعي؟

للإجابة على هذه الأسئلة قمنا بتقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول تحت مسمى: السياسة الفرنسية تجاه الدين الإسلامي ومؤسساته في الجزائر، جاء في المبحث الأول قانون فصل الدين عن الدولة، هذا القانون الذي ظل يستثني الدين الإسلامي خلافاً للأديان الأخرى، ثم صدور القرار التأسيسي المنظم لفريضة الحج 1894/12/10م، الذي من خلاله طبقت فرنسا سياسة المنع والتقييد والتضييق على الحاج الجزائري لأداء الفريضة الخامسة من أركان الإسلام.

واتخذنا مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين أنموذجاً، كمبحث ثاني لأنها كانت تراعي شؤون الحج، إضافة إلى أنها تقليد إسلامي عريق، فعمل الاحتلال على طمسه.

أما **الفصل الثاني** فكان تحت عنوان: الرحلة الحجّية، والذي تعرضنا فيه إلى مفهوم الرحلة و أنواعها وأهدافها، والذي اختلف من مظهر إلى آخر، هذا من خلال المبحث الأول، أما المبحث الثاني: فجاءت فيه أهم الرحلات الجزائرية إلى الحجاز في الفترة المدروسة (1894م إلى غاية 1945م)، و أثر هذه الرحلات الحجّية ، عن طريق ما قيل وما كتب عنها.

ليأتي **الفصل الثالث** تحت مسمى: وسائل النقل والمواصلات والوضع الصحي خلال فترة الحج، وتضمن مبحثين، المبحث الأول: وسائل النقل، أما المبحث الثاني: فيتمثل في واقع الوضع الصحي خلال فترة الحج، وهو الأمر الذي بنيّ أساسًا على صورة نمطية مشوهة عن الحاج والحج.

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي حسب ما يتلاءم و طبيعة الموضوع:

المنهج التاريخي التحليلي ذلك من خلال تتبع أهم المحطات التي مر بها تنظيم الحج وتم من خلالها ممارسة سياسة المنع والتقييد على الحاج الجزائري، و **المنهج التاريخي الوصفي** و ذلك لإثبات شهادات وآراء بعض الرحالة الحجاج الذين قاموا برحلات نحو الحجاز لأداء فريضة الحج.

أما فيما يخص **المصادر والمراجع** فقد اعتمدنا على كل من جريدتي: البصائر والشهاب لإثراء هذا الموضوع أكثر من خلال عدة مقالات كان لا بد من اللجوء إليها خاصة جريدة البصائر التي اعتمدنا عليها في الفصل الأول في مسالة فصل الدين عن الدولة.

و مجلة الشهاب، فاستفدنا منها في موضوع جمعية الحرمين الشريفين.

أما المذكرات فاعتمدنا على مذكرة الأمير عبد القادر، لنجله محمد.

ومن الكتب كتاب الرحلة الطنجاوية الممزوجة بالمناسك المالكية للعسال الحسن بن محمد، والتي ساعدتنا في وصف طريق وظروف الرحلة.

هذه المصادر كانت مهمة خاصة في الفصل الثاني الذي تحت عنوان: "الرحلة الحجية"، فكل من هذه المصادر وصف لنا كيف كانت الرحلة الحجية ظروفها وتنظيمها، أما كتاب: أنفس الذخائر وأطيب المآثر، للمهاجي الطيب، ، فاعتمدنا عليه خاصة في الفصل الثالث حيث أفادنا في التطرق لأطوار الحجر الصحي، وكذلك اعتمدنا عليه كمصدر لتقييم الوضع الصحي وتأطير الجانب الطبي لرحلة الحج.

ومن الدراسات السابقة اعتمدنا على مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية (1894م-1962م)، لصاحبها قبائلي هوري.

ومن المراجع نذكر:

تاريخ الجزائر الثقافي، لأبي القاسم سعد الله، واستفدنا منه في الفصل الأول لمعرفة دور مؤسسة الحرمين الشريفين.

وكتاب الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، لذنون طه عبد الواحد والذي استفدنا منه في الفصل الثاني.

وكلها مراجع كانت في غاية الأهمية نظرا لإحاطتها بعدة جوانب من هذه الرحلة الحجازية. وخلال انجازنا البحث واجهتنا عدة صعوبات خاصة أن تدوين هذه الرحلة في الفترة الاستعمارية لم يكن موجود إلا نادرا، فلم تكن هناك مصادر متوفرة إلا القليل، وبذلك كانت الكتابات حول هذا الموضوع شحيحة وقليلة، إضافة إلى عدم حصولنا على وثائق أرشيفية حول موضوع رحلة الحج، والتي كان بإمكانها أن تثري موضوعنا أكثر.